

ما جاء في الاتحاد

الانسان بطبعه كائن اجتماعي لا يستطيع أن يقضي حاجاته المادية من مأكّل ومشرب وملبس وحماية الا بالتعاون مع الاخرين عبر مبدأ تقسيم العمل. كذلك لا يستطيع أن يكتسب المعرفة ويتطور ويرتقي الا عبر التفاعل الايجابي مع الاخرين. وما خلفه السلف العاقل من المعارف العلمية والحكمية. ولما كان الانسان الكائن الوحيد في هذا الوجود الذي يملك العقل والحرية والقدرة على الابداع وقابلية التطور من مرحلة في المعرفة والتجربة الى مرحلة أعلى، كان من الضروري أن يتلاقح عقله مع عقول الاخرين عبر النقاش والحوار والمذاكرة لكي يولد الابداع والتطور المطلوبين. ولهذا اعتبرت سعادة الفرد جزء من سعادة الجماعة وكرامة الفرد جزء من كرامة الجماعة وكذلك تعاضته وتخلفه ورجوعه القهقري الى الدرك الاسفل.

والمجتمعات كالبهار يحكمها مبدأ المدّ والجزر، فأذا عاشت المجتمعات مدّ المحبة تألفت وتضامنت وتوحدت رؤاها وأمالها واحلامها وانجازاتها فكانت الحضارة والرقي والانفتاح والتفاعل. واذا عاشت المجتمعات جزر الكراهية تفرقت وتشتتت وتنافرت المصالح وتضاربت الافكار والرؤى فكان التخلف والتفوق والتيارات الاصولية والحروب الاهلية وانهيار ما بني وتمزق ما توحد وتلاشي ما أبداع. من هنا اعتبرت تعددية الاتنيات والديانات والثقافات في المجتمع الواحد مصدر نعمة ورحمة في زمن المد الحضاري الذي يحكمه التآلف والتضامن والتفاعل الايجابي. ومصدر نقمة وغضب في زمن الجزر الحضاري الذي يحكمه التنافر والتباغض والتعصب والتفوق. فهل نحن اليوم في لبنان وسائر الشرق الاوسط نعيش زمن المد الحضاري ام زمن الجزر الحضاري ليت شعري لا انا ادري ولا المنجم يدري. ولكني اراهن وباستمرار على المحبة التي تثمر تآلفا وتفاعلا ايجابيا تكون نتيجته الحتمية تطورا وارتقاء وابداعا يساعد الانسان على تحقيق كمال انسانيته فيكون ابن العقل لا الجهل ابن النور لا الظلمة ابن الله وخليفته عن جدارة على سطح الارض وفي اعنة السماء.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا".

وقال ايضا: "لا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون"

وقال ايضا: "ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء".

ليس هذا الكلام الالهي بكاف لأولي الالباب ان يفهموا انهم اذا تفرقوا تبدد ربحهم وسلط الله عليهم القريب والبعيد وعذبهم بأيدي من عرف ان هذي امتمك امة واحدة. وان الله ما خلق الخلق الا ليعرفوه، ومن عرفه فقد احترم الانسان من داخل ذاته واحترم انسانيته الاخرين فكان ابن العقل الكلي الذي نقش قوانينه على مرايا جواهر جميع النفوس ولا عذر لأحد ان يقول اني لا اعرف الحق فهو مطبوع في غرائز العقول وهو اقرب الينا من حبل الوريد ولكن سوء طباعنا وتطرف اهوائنا وقبيح اعمالنا هو الذي حجب ما نقش على جواهر نفوسنا.

قال معن بن زائدة موصيا اولاده:

خطب ولا تتفرقوا افرادا
واذا افترقن تكسرت احادا

كونوا جميعا يا بني اذا اعترى
تأبى العصي اذا اجتمعن تكسرا

وهل نحن اليوم نطمح الى صراع اعداء الثقافة والحضارة والوجود ونحن مفرقون احادا كل منا يخون الآخر ويرميه بالشائعات الشنيعة محكما الظنون والخواطر لا الحقائق ومنطق العقل.

قال معروف الرصافي:

من سلاحي تعاون واتحاد

خاب قوم اتوا وعن العيش عزلا

فهل نحن نملك هذين السلاحين هل نملكهما في اليمن ام في العراق ام في السودان كي لا نخرج الى الدول التي تعتبر نفسها سباقة في التنظيم والنظام والحدثة والسيادة.

كنت الغبي فلست ادري

انني دريت وليتني

قال أنيس المقدسي:

وعيشا مستقلا وانتظاما
أبت الا انشقاقا وانقساما

أيا وطني أروم لك المعالي
ولكن أين هذا من بلاد

أليس كل ما يحصل على ارض الواقع من هرج ومرج وخوض في الكرامات ونيش في القبور يشكل حافزا للعقلاء بان يجلسوا على طاولة حوار ويسألوا انفسهم بصدق في اللسان والجنان أي لبنان نريد؟ وتكون اراداتهم متصالحة مع منطق العقل والخير العام والقواسم المشتركة وليست مبنية على غيبيات وهواجس وعقد نفسية.

قال ابراهيم اليازجي:

على الوثام لدفع الظلم تعصب
وغادر الشمل منكم وهو متشعب

خلوا التعصب عنكم واستووا عسبا
هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم

دعونا نسأل انفسنا سؤالا منطقيًا، ايهما اجدى وأنفع ان نحارب اعداءنا بسلاح العلم والمعرفة والانفتاح والحدثة وبناء المجتمعات المدنية العقلانية العلمانية ام نحارب بالتفوق والتزمت واستنساخ قيم الماضي الغابر وتقديس اصنام الفكر السلفي وتعطيل عمل العقل ومصادرة الحريات وتخريب وسائل الانتاج؟

الا يلزم صراعنا مع العدو نهضة ثقافية فلسفية علمية تكنولوجية! الا يلزمه عدالة في توزيع الثروة القومية توزيعا عادلا ليشعر كل مواطن ان البلد بلده والكرامة كرامته والحقوق حقوقه؟

الا يلزم ولادة الانسان العاقل الحر المرید الذي يزن الامور بميزان العقل فالصحيح هو ما صح في العقل. قال احدهم: اذا اتحد القطيع نام الاسد جائعا والاتحاد الحقيقي لا يكون بمد نهضوي حضاري يراهن

على الانسان العاقل لا على الانسان الجاهل،الانسان الحر لا الانسان العبد،الانسان السيد الذي
يقرر ويتحمل مسؤولية قراراته ويختار ويتحمل مسؤولية اختياراته،الانسان الذي يتعامل مع نفسه ومع
الآخرين بروح العدالة ومنطق العقل ويؤمن بانصهار عقول الافراد في عقل جمعي،ومصالح الافراد
في مصلحة عامة،وكرامة الافراد في كرامة المجتمع.

كمال سري الدين

بزبدین

٢٠١٠/١١/٢٠